حرب القرم

(٥)

ارتقاء القيصر اسكندر الثاني

ولد القيصر اسكندر الثاني في التاسع والعشرين من ابريل سنة ١٨١٨ والدهُ بروسيانية ابنة فردرك وليم الثالث ونيط تعليمهُ وتهذيبهُ بزوكفسكي الشاعر الروسي فعلمهُ اللغات القديمة وغرس في نفسهِ حب وطنهِ والميل الى تحرير رعاياهُ . وتعلَّم من امهِ رقة القلب ودماثة الاخلاق ومن ابيهِ بسالة الجنود وتجشُّم المشاق وتدرَّب من صغرهِ على فنون السياسة واستعمال السلاح

ولما صار لهُ من العمر ست عشرة سنة جُعل ولي عهد ابيهِ ومساعداً لهُ وقائداً للقوزاق وقومندانًا لحرس الرمَّاحة ورئيسًا لجامعة فنلندا . وكان يركب مع ابيهِ لاستعراض الجيوش وهو في ذلك السن

وصاح في الماتيا وعمرهُ عشرون سنة وتزوج باميرة المانية وعمرهُ ٢٣ سنة وزادت محبتهُ في قلوب شعبهِ بتقدمهِ في السن ولما توفي ابوهُ وتبوأ العرش مكانهُ كان عمرهُ ٣٧ سنة . وقال لهُ ابوهُ قبيل وفاتهِ « اعلم يا بنيَّ ان كل همي كان مصروفًا الى خير روسيا ولقد كنت اودُّ ان اواظب على عملي حتى اترك لك مملكة ثابتة الدعائم منتظمة الاحوال آمنة طوارق الحدثان الامن موطَّد فيها والنجاح باسط رواقهُ عليها ولكنك ترى كيف امرت الآن . هذا ما قضى بهِ الله وستجد العبءَ ثقيلاً عليك »

ولقد كان العبءُ ثقيلاً فان اوربا كانت قائمة عليهِ وخزائنهُ فارغة وشعبهُ يئن من تلك الحرب ويطلب الاصلاح العام فنشر منشوراً يقول فيهِ انهُ عازم على الاحتفاظ بالسلطة التي ورثها من ابيهِ وعلى اتمام مقاصد اسلافهِ العظام بطرس وكاترينا والاسكندر المطوَّب وابيهِ الخالد الذكر . وطلب من رعاياهُ في اخر المنشور ان يحلفوا يمين الطاعة لهُ ولولي عهدهِ من بعدهِ . وبعث الى سفرائهِ لدى الدول يخبرهم بانهُ عازم على اطفاء نار الحرب باسرع ما يمكن مع الاحتفاظ بشرف روسيا وبالحرية الدينية للشعوب المسيحية في المشرق

وشاع حينئذٍ انهُ راغب في الصلح فاطمأنت الخواطر وراجت الاسواق المالية لكن لما زارهُ سفراء الدول قال لهم « اني اصرح لكم علانية باني غير حائد عمَّا كان يراهُ والدي ولا عن السياسة التي جرى عليها هو واخوهُ الامبراطور اسكندر ومدار هذه السياسة على

الاتحاد المقدس فان كانت دعائم هذا الاتحاد قد تقوضت فليس اللوم على اني لان مقاصده كانت دائماً صريحة ظاهراً و باطناً . وان كان احد قد ارتاب فيها ونسب اليه ما هو بريء منه فسينصفه الله والتاريخ . وانا على تمام الاستعداد للاتفاق مع غيري بالشروط التي اشترطها والذي . واني راغب في السلم طالب له اسعب ان نضع حداً لفظائع هذه الحرب المشومة ولكن ان كان مؤتمر فينا يشترط علينا شروطاً تثلم شرفنا فانا ورجالي مستعدون لاستئناف القتال الى ما شاء الله وكنا يقول النار ولا العار »

وشاع حينئذٍ ان القيصر اختلف مع اخيه قسطنطين لان اخاه كان يريد استمرار الحرب وهو لا يريد ذلك لكن هذه الاشاعة انتقضت حالاً بجعله اخاه اميراً على كل الاساطيل الروسية وتاليًا عنه اذا توفي قبلما يبلغ ابنه سن الرشد

وفي الخامس من شهر مارس سنة ١٨٥٥ اجتمع نواب انكلترا وفرنسا والنمسا وتركيا وروسيا في مدينة فينا للمذاكرة في شروط الصلح . وكان مدار هذه الشروط على ان تتنازل روسيا عن مراقبتها على امارات الفلاخ والبغدان والصرب وعن مصاب الدانيوب وتسلم بان كل ما كان لها من الامتياز في البحر الاسود قد ألغي وبانها ليست الحامية الوحيدة للمسيحيين في الممالك العثمانية . وكان البرنس اسكندر غورتشاكوف ميالاً الى التساهل والقبول بمطالب الدول ولكنه رأى من تطرف البارون بوركني نائب فرنسا في تقييد سلطة روسيا ما حمله على احالة البت في الامر الى القيصر . ثم لما رأى نواب انكلترا وفرنسا وتركيا ان روسيا ابت اقفال البحر الاسود قالوا انه لم يبق وجه للبحث في شروط الصلح . فقال مفوض روسيا اما ان يفتح البحر الاسود لاساطيل الدول كلها او يقفل في وجهها كلها فان لم تسلم الدول بذلك فتكون هي التي رفضت الصلح . وجرى المؤتمر على المراوغات والمخادعات واظهرت النمسا شيئاً من الميل الى روسيا بالفعل لا بالقول لانها استرجعت ستين الفاً من جنودها من غاليسيا فاستطاعت روسيا ان ترسل جنودها من هناك الى القرم . لكن الملك فكتور عمانوئيل ملك سردينيا ارسل خمسة عشر الفاً من جنوده الى ساحة القتال للاشتراك مع جنود الدول المتحالفة قياماً بمعاهدة تورين

ودام المؤتمر الى الرابع من شهر يونيو ولم يأت بطائل واستمرت المناوشات بين الجنود الروسية وجنود الدول المتحالفة كل شهر مارس وابريل . ولما رأى قواد جنود الدول المتحالفة انه يستحيل عليهم ان يفتحوا سفاستوبول بالهجوم عزموا على تخريبها بالمدافع وفتحها بالحصار فمضى نصف سنة وهم يحاولون الدنو منها وتضييق الخناق عليها وحاميتها تخرج اليهم وتناوشهم .

وخرج ٥٠ الفاً من حاميتها في الثاني والعشرين من مارس وهاجموا الفرنسويين والانكليز فاخرجوا الفرنسويين من مراكزهم لكن جاءت الفرنسويين نجدة فاستردوها . وفي التاسع من ابريل اتجهت المدافع كلها الى سڤاستوبول وصبّت عليها ناراً حامية ايامًا متوالية فرمتها في اليوم الاول بعشرين الف قنبلة . وقد وصف الدكتور وليم رسل مكاتب التيمس حالة المدينة والقنابل تنهال عليها بقوله

« مزقت الشمس مجاهًا اسود يكتنف المدينة فانبعث منها عمود من النور الفشيل تعترضهُ اعمدة من المطر المنهمر وركام من البخار المتكاثف امام افواه المدافع . وكنا نرى مباني المدينة وقبابها من خلال الدخان والشهب ترتجف ارتجافًا ضمن دائرة من النيران »

لكن اطلاق المدافع لم يجدِ نفعًا غير قتل بعض السكان واتلاف بعض المباني . وقد بلغت خسارة الروس من ٩ ابريل الى العشرين منهُ ٦١٢٠ رجلاً وخسارة الفرنسويين ٥٨٥ وخسارة الانكليز ٢٦٥

وهجم الفرنسويون في اول مايو على متاريس الروس قرب الحصن الاوسط في الجانب الجنوبي من المدينة ولم تكن الحامية فيها فاستولوا عليها وهي حفر يقيم فيها الجنود ويطلقون منها البنادق . وحاول الروس استردادها في اليوم التالي فلم يستطيعوا وقتل منهم وجرح تسع مئة ومن الفرنسويين ثمانمئة . ثم حاولوا استرجاعها ثانية في الثاني والعشرين من الشهر والثالث والعشرين منهُ فخسروا اكثر من خمسة آلاف نفس ولم يفوزوا بطائل لان الفرنسويين حلؤوهم من جهة أخرى واستبسلوا في قتالهم

وكتب الجنرال كنروبر قائد الحملة الفرنسوية الى الامبراطور نبوليون يقول انهُ لم يعد قادرًا على القيام بما يطلب منهُ وان ما لامبراطوره وبلاده عليهِ من الفروض ما يضطرهُ الى الاستعفاء لئلاَّ يفرط في مصالحهما واشار بان تعطى القيادة العامة للجنرال بلسيه . فاجيب طلبهُ وجعل الجنرال بلسيه قائدًا عامًّا للحملة الفرنسوية وجاءتهُ نجدة فبلغت جنودهُ مئة وعشرين الفًا وكان عدد الجنود الانكليزية حينئذٍ ثلاثين الفًا والعثمانية خمسين الفًا والسردينية خمسة عشر الفًا والمجموع ٢١٥ الفًا واما الجنود الروسية فلم يبقَ منها حينئذٍ اكثر من مئة الف . ولم يكد الجنرال بلسيه يستلم القيادة حتى صارت صنون بارجة حربية من بوارج الدول المتحالفة لفتح مدينة كرتش وكانت اهم مرافئ الروس في بلاد القرم وهي الى الشرق من مدينة ثيودوسيا فلما رأت حاميتها هذا الاسطول الكبير آتيًا اليها نسفت حصن بافل بين كرتش وبني قلعة واخلت المدينة بعد ان حرقت ما فيها من المؤونة والعتاد وحرقت ايضًا

البواخر التي في مرفإها ثم نسفت مخازن البارود وكان فيها اكثر من ثلاثين الف كيلوغرام من البارود وعطلت المدافع . وكل ما فعلته هذه الحملة البحرية انها اتلفت ما تركهُ الروس من الميرة والذخيرة والسفن . وكتب حينئذٍ القبطان ليونس الانكليزي الى حكومتهِ يقول انهُ غنم سبعة عشر الف طن من القمح الخبري ومئة مدفع واتلف مئتين وخمسين سفينة ومئة ملايين وجبة من الحنطة والدقيق . ثم سارت هذه البوارج الى مدينة تغانروغ وظلت تطلق المدافع عليها الى ان خربتها وفعلت مثل ذلك بمدينة مريوبول فلم يبقَ لحامية سفاستوبول اتصال الاَّ بمدينة بريكوب

وبينما كانت هذه الاساطيل تخرب مدن بحر ازوف كانت الجنود تشدد الحصار على سفاستوبول وحاميتها تزيد في تحصينها وجلب الميرة اليها وكانت المدافع قد هدمت اكثر مبانيها بل لم تبقِ فيها بناء من غير تخريب

وفي اوائل يونيو عقد قواد الجنود المتحالفة مجلس حرب اقروا فيهِ على ضرب المدينة مرةً ثالثة في السادس من الشهر ومتى بلغ الضرب اشدهُ وحمي الوطيس تهجم الجنود عليها من ثلاث جهات في وقت واحد . ففعلوا واستمرَّ اطلاق المدافع الى عصر السابع من الشهر وحينئذٍ سار المجوم العام والفرنسويون يقصدون الاستيلاء على طوابي جبل سابون وعلى الملون او الاكمة الخضراء والانكليز على الحاجر المقابلة للردان والاتراك يبقون رديفاً و يحمون مرتفعات انكرمان فوجد الانكليز الحاجر من غير حامية فاستولوا عليها ولكن الروس عادوا لاسترجاعها منهم وحاولوا ذلك ست مرات . وكان الوصول الى اكمة الملون من اصعب الامور على الفرنسويين لانها محمية بمدافعها ومدافع حصن ملاكوف والردان وحاميتها قوية التكيمة فصعدوا اليها تحت نار حامية ثم تقدموا خطوة خطوة والروس يصدونهم عنها مستقتلين ويردونهم عنها مراراً ولكن جاءتهم نجدة تمكَّنوا اخيراً من الاستيلاء عليها . واستمرَّ القتال ثلاثة ايام خسر الفرنسويون فيها اكثر من خمسة آلاف والروس اكثر من ستة آلاف

ثم عقد الجنرال بلسيه مجلس حرب آخر وعرض على القواد الثلاثة لورد رغلان قائد الحملة الانكليزية وعُمر باشا قائد الحملة التركية وده لامرمورا قائد الحملة السردينية خطة جديدة للهجوم ليجروا عليها في الثامن عشر من الشهر وهو اليوم الذي وقعت فيهِ معركة ولرلو وقرَّ القرار على ان يبتدئوا باطلاق المدافع صباح السابع عشر من الشهر و يستمروا الى الثامن عشر وفيهِ يهجم الفرنسويون على حصن ملاكوف والانكليز على الردان الكبير

وفي الساعة الرابعة من فجر السابع عشر من الشهر فتحت المدافع افواهها من عند الكورنيتا الى مصب الشرنيا اي من كل البر المحيط بسفاستوبول وحصونها واستمر اطلاق القنابل النهار كلهُ ولم يخيم الليل حتى عطلت كثيراً من مدافع الكنات ومدافع الردان الكبير وملاكوف وغيرها من حصون الروس لكن الحامية بقيت ترمم وتحصن بسالة تفوق الوصف تحت نيران المدافع . وكان في سفاستوبول حينئذٍ نحو ٤٣ الفاً من المشاة واحد عشر الفاً من الطبجية كان نصفهم كلهم في ضاحية كرابليا بقيادة الجنرال خروليف . وكان الجنرال بلسيه قد جعل ميعاد الهجوم العام الساعة الثالثة بعد نصف الليل وانهُ يعلن ذلك بثلاثة «صواريخ» يطلقها في الجو من حصن فكتوريا لكن انتصف الليل وهو لم يخرج من مخيمهِ وكانت المسافة طويلة بينهُ وبين حصن فكتوريا . وادرك الروس غرضهُ فاستعدوا لهُ سفي ملاكوف وفي الردان الكبير . ثم ركب جوادهُ وقبل ان يصل الى حصن فكتوريا و يعلن الهجوم العام كان الجنرال ميران احد اتباعهِ قد سمع صوت قنبلة فظنها صاروخ الهجوم وهجم برجالهِ في وجه نار حامية من ملاكوف فصدتهُ القنابل واصيب بجرح سيمت تخلفهُ الجنرال دي فايلي . ولما وصل الجنرال بلسيه الى حصن فكتوريا وجد ان لورد رغلان في انتظارهِ منذ ساعة من الزمان فأطلقت الصواريخ وهجم الجنرال برونه على الجانب الشمالي من حصن ملاكوف فقتل في اول الهجوم و بلغ رجالهُ المدافع ولكن بعد ان مزقتهم قنابلها تمزيقاً فارتدَّ من بقي منهم حيًّا . ووصل الجنرال دوتمار الى بيوت تحصن فيها قرب ملاكوف لكن الروس ردوهُ بعد ما ردوا الهاجمين من الجهات الاخرى . واصاب الانكليز ما اصاب الفرنسويين فانهم هجموا مرتين على الردان الكبير وردوا عنهُ بخسائر كبيرة

وفي التاسع عشر من الشهر طلبت الجنود الحالفة هدنة وهي اول هدنة طلبوها منذ بداءة الحرب . وقد بلغت خسارة الروس في هذه المعركة ٥٤٤٦ وجرح فيها الجنرال تدلبن . وخسارة الفرنسويين اكثر من ٣٥٠٠ وخسارة الانكليز نحو ٢٠٠٠

ولما وصل خبر هذه المعركة الى باريس امر الامبراطور نبوليون المرشال ڤليان ان ينزع القيادة العامة من يد الجنرال بلسيه ويعطيها للجنرال نيل لكن وزير الحربية كان يعلم انهُ اذا أُخرجت القيادة من يد الجنرال بلسيه دارت الدائرة عليهم فلم يرسل امر الامبراطور بالتلغراف بل ارسلهُ كتابة مع البريد وفي اليوم التالي اقنع الامبراطور بخطاهِ فاستردَّ الكتاب من مرسيليا

وانتشرت الامراض بين الجنود الفرنسوية والانكليزية بعد هذه المعركة واسقط في يد لورد رغلان مما اصابهُ من الفشل واصيب بالكوليرا فقضت عليهِ في الثامن والعشرين من الشهر وخلفهُ الجنرال جيمس سمسن وكان قد أُرسل الى القرم مفتشاً

وكان الجنرال تدلبن قد اصيب بقنبلة مدلع في رجلهِ فجعل يدير حركات الحامية وهو ملقىً على سرير . ووقف الجنرال نجيموف يرقب طوابي الفرنسويين من اعالي ملكوف فاصابتهُ رصاصة في رأسهِ قتلتهُ . وشكا الروس من قلة المؤونة لان اقلاف مخازنهم على بحر ازوف واحتلال كرتش وبني قلعة اضطراهم الى جلب المؤن من اماكن تبعد عنهم الف كيلو مترفيذهب اكثرها عفاً للذواب التي تحملها . فدلَّ كل ذلك على انهم لا يستطيعون الصبر على الحصار طويلاً . ثم ثبت ذلك لما شرعوا في السادس من اغسطس يبنون جسراً (كبريًا) من القوارب طولهُ تسع مئة قدم ليعبروا بهِ من حصن نيقولا الى حصن ميخائيل ويخلوا سفاستوبول (انظر الخريطة)

وفي التاسع من اغسطس جمع البرنس غورتشاكوف مجلساً حربيًّا بحث فيهِ في هل الاصلح لهم ان يستمروا على الدفاع من غير ثمرة الاَّ اطالة الوقت او ان يخلوا خطة المحجوم ويهاجموا اعداءهم . فاشار الجنرال خروليف بالهجوم اما على حصن فكتوريا والملون واما بتخريب المدينة والخروج بكل الجنود الروسية والهجوم بهم على الاعداء . واشار الجنرال أستن ساكن باخلاء المدينة والتحصن في مكان آخر . وسئل الجنرال تودلبن عن رأيهِ فسفَّه الرأيين السابقين وقال ان العدو اقوى منا فاذا هاجمناهُ فاز علينا . وكان الجنرال ثرفسكي قد أُرسل من بطرس برج ليشير بامر يكون فصل الخطاب في هذه الحرب فاشار بالهجوم وصمَّم على رأيهِ فانقاد البرنس غورتشاكوف اليهِ وكتب حينئذٍ الى وزير الحربية يخبرهُ ان مواقع العدو حصينة جدًّا والمهجوم عليها شديد الخطر ولكنهُ وجد الحالة كذلك من حين اتى القرم ولا امل لهُ بالفوز

وفي الخامس عشر من اغسطس هجم البرنس غورتشاكوف بسبعين الفاً من المشاة والفرسان والمدفعية فقابلتهم الجنود الفرنسوية والانكليزية والتركية والسردينية وحمي الوطيس واستمرَّ القتل وكثر الاخذ والرد النهار كلهُ فدارت الدائرة على الروس اخيراً بعد ان استقتلوا وقتل من قوادهم الجنرال ريد بانفجار قنبلة والجنرال نرفسكي بقنبلة اطارت رأسهُ وهو واقف الى جانب البرنس غورتشاكوف

وفي اليوم التالي جعلت المدافع تصب قنابلها على حصون الكرابلنيا اي القسم الشرقي من المدينة فهدمت المتاريس وقلبت المدافع وقتلت خلقاً كثيراً من الحامية وكانت الجنود لتقدم رويداً رويداً في حفر الخنادق والدنو بها من حصن ملاكوف - وفي التاسع والعشرين من اغسطس وقعت النار في مخازن البارود في وسط معسكر الفرنسويين الشرقي فنسفت سبعة آلاف كيلو غرام من البارود وثلثمئة وخمسين قنبلة كبيرة فاهتزت الارض كما بزلزلة عنيفة وكسر الزجاج في حصن نيقولا وهو على ثلاثة كيلو مترات وقتل ثلاثون نفساً من الفرنسويين وجرح اكثر من مئة وقتل كثيرون من الانكليز لكن رجال المدفعية لم ينقطعوا عن اطلاق مدافعهم على حصن ملاكوف - وزادت خسائر الجنود المتحالفة بدنوهم من استحكامات الروس - وكان حول ملاكوف وشيع محدد الرؤوس وسور من التراب ارتفاعهُ اكثر من ستة امتار وهو عريض جداً لا تخرقهُ قنابل المدافع ولا يسهل هدمهُ ولا الصعود عليهِ وبينهُ وبين الحصن خندق عمقهُ سبعة امتار وعرضهُ ثمانية امتار ووراء الخندق ثلاثة صفوف من المدافع الكبيرة الواحد فوق الآخر في شكل مدرج ولرماة البنادق متاريس تحميهم

واجمع قواد الدول المتحالفة على ان يستمر اطلاق المدافع على سفاستوبول الى السابع من سبتمبر ثم يصير الهجوم العام عليها في الثامن منهُ وكان عدد مدافع الفرنسويين حينئذٍ ستمئة ومدافع الانكليز مئتين ومدافع الروس ١٣٨٠ ففتحت جهنم فاها ولفظت الشر والنقمة على الناس - قال بعضهم وكان شاهد عين « كانت نيران المدافع تخمد احياناً فيظن الروس ان اعداءهم قاربوا الهجوم عليهم فيخرجون من سترهم الى اعالي الاسوار متهيئين لدفع الهاجمين فتبادرهم المدافع بقنابلها ونيرانها - وانقضى النهار وخيم الليل والقنابل تطلق كالشهب الثواقب وتنصب كالسيل المنهمر واذا بعمود من النار انتصب في المرفإ الكبير بين الارض والسماء فانعكس نورهُ عن الجبال والاكام والبر والبحر كأنَّ نهراً من الدم فاض عليها وغمرها فان سفينة كبيرة من سفن النقل اصابتها قنبلة حامية فاحرقتها وصعد لهبها الى عنان السماء عموداً من النار والنور - وفي اليومين التاليين تمَّ خراب ما بقي من سفاستوبول ولما عاد اليها الروس بعد عقد الصلح لم يجدوا فيها قائماً غير اربعة عشر بيتاً بقيت شهوداً عدولاً على عظمتها السابقة - وليلة السابع من الشهر احترقت فرقاطة أُخرى ومركب آخر فالتهمتهما النيران وكان في الفرقاطة مئتا طن من الالكحول فاضاء نورها الابراج والطوابي وابان مواقع القنابل عليها - وتفاقم الخطب على الحامية حتى كاد يعدمها صوابها ولم يبقَ لها الاَّ ان تلقي مخازن

البارود بالحواجز وتسد الثغور وترد المدافع المغلوبة الى اماكنها وتصلح مرامیها . وما كان ابسلها وما أكثر ما سفك من دمائها فانهُ قتل وجرح اربعون نفساً لاجل حفظ مدفع واحد في مكانهِ . ومساء السابع من الشهر كان قاربان آتيين الى المدينة بالبارود فوقع « صاروخ » على احدهما فنسفها نسفاً وخرَّب كل ما حولها وفي جملة افعالهِ انهُ قذف مدفعاً كبيراً في الهواء فلما وقع قتل كثيرين . وقُتل من حامية سفاستوپول من ٢ اغسطس الى ٤ سبتمبر ٢٧٠٠ : ثم قتل منهم في الثلاثة الايام التالية ٧٥٦٠ وخسر الفرنسويون في تلك المدة ٣٨١٥ »

وكان البرنس غورتشاكوف قد عزم على اخلاء المدينة وكتب الى وزير الحربية في ٢٤ اغسطس يقول انهُ ليس بين رجالهِ رجل واحد لا يقول ان البقاء في سفاستوپول ضرب من الجنون . لكنهُ كتب اليهِ بعد اسبوع يقول « لقد صممت على البقاء هنا ما دام ذلك ممكناً لانهُ ليس امامنا سبيل آخر »

وبلغ عدد الحامية كلها في الثامن من سبتمبر خمسين الفاً لاغير وكانت تنتظر هجوم جنود الدول المتحالفة يوماً فيوماً حتى عيل صبرها ولما جاء اليوم الثامن من سبتمبر حسبت انهُ يمرّ مثل غيرهِ من الايام السالفة وتفرَّق اكثر رجالها لتناول الغداء وهم لا يوجسون شرًّا وكانت المدافع تطلق على الحصون اطلاقاً خفيفاً وعند الظهر اشتدَّ اطلاقها نحو ثلث ساعة ثم وقف فجأةً وكان جنود المغاربة الفرنسوية قد صاروا على ٢٥ متراً من حصن ملاكوف وبوَّق البوق حينئذٍ بأمرهم بالهجوم عدواً فوثبوا كالاسود الضواري . وكان الخندق الذي امام السور قد كاد يمتلئ مما وقع فيهِ من القذائف والحطام فلم يعقهم عن الوصول الى السور ووثب بعضهم من فوقهِ ودخل بعضهم من طاقات المدافع

فوجئ الروس مفاجأة وأُخذوا على غرة ولم يكن في ساحة ملاكوف بينهُ وبين السور غير المدفعية فدافعوا دفاع الابطال بشياش المدافع الى ان قتلوا كلهم الى جوانب مدافعهم وكانت جنود الحامية بعيدة عن مرمى القنابل فلما سمعت الصياح بادرت الى الحصن واشتبكت مع الجنود الهاجمة وفي لا تدري ماذا تعمل فردتها الجنود الهاجمة على اعقابها وقتلت قائدها واكثر ضباطها ونصب العلم الفرنسوي على سور ملاكوف

وهجم الفرنسويون على الردان الصغير كما هجموا على ملاكوف لكن الروس ردوهم عنهُ وصدوا الانكليز ايضاً عن الردان الكبير بعد ان وقع في قبضتهم . وحاول الانكليز استرجاعهُ مرتين بعد ذلك فصدهم الروس عنهُ بعد ان اثخنوا فيهم وكان الفوز للروس في كل مكان

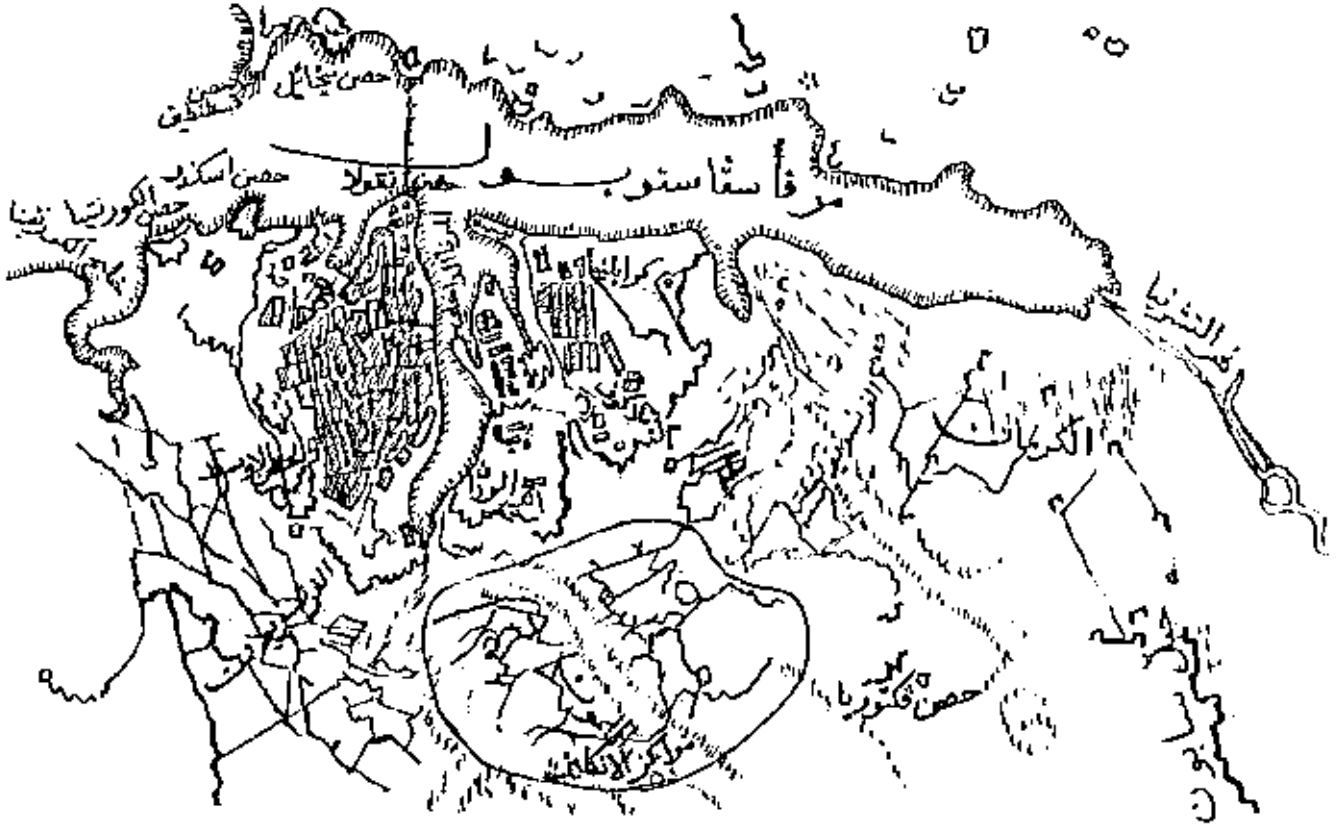

سفاستوبول وحصونها ومواقع الجيوش الحاصرة لها

الأ في حصن ملاكوف فان الفرنسويين استولوا عليهِ عنوةً وخلسة ولم يستطع الروس اخراجهم منهُ . وهو قائم على اكمة عالية تشرف على كرابليا اي الحي الشرقي من سفاستوبول وعلى المرفأ والجسر الذي هو الطريق الوحيد الباقي لتروس اذا ارادوا الخروج من المدينة . فلما رأى البرنس غورتشاكوف ان هذا الحصن خرج من يدهِ ولا امل باستردادهِ امر باخلاء المدينة فاخرج الحامية منها ونسف حصونها والحصون المحيطة بها واغرق السفن كلها ما عدا بواخر النقل فانها كانت تنقل ما بقي من المؤونة والميرة في المدينة وعند الساعة السابعة قطع الجسر من جهة المدينة وكان الروس قد انتقلوا كلهم الى الجانب الآخر

ووصف الدكتور رسل ذلك في رسالة الى التيمس قال فيها

« فقدنا في الردان اكثر مما فقدنا في بداجوز[1] عدا ما فقدناهُ في خنادقهِ وحواليهِ ولم يتركهُ لنا الروس الاَّ لما رأوا حصن ملاكوف صار في يد الفرنسويين وكان في طاقتهم ان يبقوا فيهِ اكثر مما بقوا ولكن قائد الحامية كان احكم من ان يخاطر بهيج رجالهِ الاحتفاظ بحصن لا بدَّ لهُ من تسليمهِ اخيراً فخرج منهُ بانتظام تام هو ورجالهُ في وجه عدو قاهر وحرق المدينة وراءهُ ونسف حصونها لكي يمنعنا من الالتحاق بهِ فاندلعت السنة النيران ونطقت افواهُ الالغام باصوات الرعود القواصف تحذر الجنود المتحالفة من الموت الزؤام ان هي حاولت اتباع خصمها العنيد . وسارت الحامية على مرأى منا ومن اساطيلنا ونحن لا نستطيع ان نصل اليها بقنبلة واستعرضها قائدها على البر المقابل امام عيوننا ومعها الثمن ما كان عندها من الميرة والمؤونة واغرق سفنهُ ونسف حصونهُ ونحن لا نستطيع ان نردهُ عنها وكل ما فعلناهُ اننا رمينا الجسر ببعض القنابل كأننا نريد قطعهُ او قتل المارين عليهِ على غير جدوى »

وخسر الروس في هذا الهجوم الاخير ثلاثة عشر الفاً والجنود المتحالفة عشرة آلاف

وفي الحادي عشر من شهر اكتوبر احتلَّ الفرنسويون المدينة والانكليز الحي الشرقي منها اي كرابليا لكن مذابح القرم لم تقف هنا ولا وضعت الحرب اوزارها كما سيجيء

(١) حصن في البسارابيا استولى عليهِ الروس والعثمانيون بعد حصار شديد فقد فيهِ غير خمسة آلاف من جنودهم بين قتيل وجريح